

ديوان

المغربيين

من شعر

صالح الدين القوصي

(الجزء الرابع)

الطبعة الأولى

غرة المحرم ١٤٢١هـ - أبريل ٢٠٠٠م

وقف لله تعالى لا يباع

(١)

الكافور

(۸۰)

﴿ الكوثر ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الْحَيِّ الْأَكْبَرِ
وَسِرِّ الطَّمَسِ الْحَقِّ الْأَنْوَرِ
فِيخْفِي السِّرِّ بِنُورِ فِيهِ
وَأَمَّا النُّورُ .. فَسِرٌّ يَظْهَرُ
لَمْ يَدْرِكْهُ سِوَى مَنْ فِيهِ
إِنْفَلَقَ السِّرُّ فَكَانَ الْمَظْهَرُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَا لَمْ
يَفْهَمُ خَلْقٌ أَوْ يَتَصَوَّرُ

إِنْ لَمْ تَفْهَمْ قَوْلِي هَذَا
فَالْأَلْفَاظُ بُدُورٌ تُنْثَرُ
فافتح قلباً .. تجلّى لباً
فيه عيونٌ .. دوماً تُبصرُ
أَمَا إِنْ لَمْ تُدْرِكْ .. فاقراً
” إنا أعطيناك الكوثرُ “

ففيها السرُّ .. ومنها النورُ
لكلِّ فؤادٍ حَيٌّ يَنْظُرُ
واتركُ شرحاً ليس بمُجدٍ
قيلَ لِطِفْلِ حَتَّى يَكْبُرَ ...!!!

تَقَّبْ .. وَابْحَثْ حَتَّى تَعْرِفَ
نُورَ الْآيَةِ بَيْنَ الْأَسْطُرِّ
عُمٌ فِي بَحْرِي .. حَتَّى تَفْهَمَ
أَنَّ الْبَحْرَ مِائَتُ الْأَبْحَرِ !!!
صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مَنْ أَهْدَى
دُرَّرَ الْخَالِقَ لِلْمُسْتَبْصِرِ ..
وَأَلْفُ صَلَاةٍ مِمَّنْ أَهْدَى
” إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ “

كَانَ الْقَلْبُ يُسَبِّحُ رَبِّي
وَالْأَكْوَانُ جُنُودٌ تَذْكُرُ

وحول "القدس" وكنت أطوفُ
حَوْلَ الذَاتِ الْحَيِّ الْأَكْبَرِ
أَقْدَسُ ذَاتًا .. أَعْبُدُ نُورًا
وَقَلْبُ مُحِبِّكَ دَوْمًا يُزْهِرُ
وَفَاضَ الْعَشْقُ .. وَطَفَّ الْكَيْلُ
وَلَيْسَ الْحَبُّ بِأَمْرٍ يُسْتَرُّ
فَشَعَّ النُّورُ عَلَيَّ .. وَهَلَّ
وَوَطَّعَ عَلَيَّ الْفَجْرُ الْأَنْوَرُ

سَجَدْتُ وَقُلْتُ: تَعَالَى اللَّهُ
أَتَاكَ الْعَبْدُ بِقَلْبٍ يَشْكُرُ

فقال: إِلَيْكَ... فقلتُ: عَلَيْكَ..

وَكُلُّ الْكُونِ لِعَبْدِكَ مُحَضَّرٌ

فقال: وَفِيكَ... فقلتُ: وَمِنْكَ..

وَفَضْلُكَ غَيْثٌ دَوْمًا يَقْطُرُ

فقال: نَعِيمِي... قلتُ: فَنَائِي

قُرْبِي مِنْكَ الْحَقُّ الْجَوْهَرُ

فقال: عَذَابِي... قلتُ: بُعَادِي

بُعْدِي عَنْكَ جَحِيمٌ يُسْجَرُ

فقال: صِفَاتِي .. قلتُ: حِجَابٌ!!

قال: فِعَالِي .. قلتُ: مُدَبَّرٌ

فقال: تَطَاوَلْتَ .. لَكِنْ بِحَقِّ

فاسمعُ مَنِّي .. لا تَغْتَرُ

هَلْ لَكَ بَاعٌ فِي الْعُشَاقِ ؟؟

فقلتُ: العِشْقُ عَلَيْنَا أَصْعَرُ!!

قال: وَهَمَّتْ.. فقلتُ: وكيف؟؟

فقال: فَنَاؤُكَ لَمَّا يَظْهَرُ...

قلتُ: وكيف!!! فَعَلَّمَنِيهِ..

فقال: فَنَاؤُكَ أَلَّا تَذْكُرُ!!!

قلتُ: الذِّكْرُ إِلَيْكَ الْقُرْبَى!!

قال: لِسَانِي فِيكُمْ يَذْكُرُ..

إِنِّي الْحَيُّ.. وَمَا لِلْخَلْقِ

سِوَايَ وَجُودٌ أَوْ مِنْ مَظْهَرٍ

إِنَّمَا نَحْنُ.. وَإِنَّمَا أَنْتَ

فَجَاهِدْ وَاصْمُدْ كَيْ لَا تَخْسَرَ

قُلْتُ : الْفَضْلُ إِلَيْنَا مِنْكُمْ
لِلْمُحِبِّبِ...وَلَيْسَ الْأَمْهَرُ..

قَالَ : أَوْصَلًا مِنَّا تَرْجُو !!
قُلْتُ : الْحَقُّ وَغَيْرُكَ كُفْرٌ

فَقَالَ : سَتُقْتَلُ..قُلْتُ : قُتِلْتُ
وَمُتُّ بِمَنْذُومِ النَّحْرِ

وَوُزِعَ جَسْمِي بَيْنَ الرِّجَالِ
وَكَانَ بِصَدْرِي نَفْسٌ يَهْدِرُ

قَالَ : الْأَمْرُ عَلَيْكُمْ مِنَّا
فَارْضَ بِحُكْمِي فَيَكُمُ وَاصْبِرْ

قلتُ : الشكرُ علينا أَوْلَى
منك الفضلُ لِعَبْدٍ قَصِرَ

قال : الشكرُ لِسَانُ الحُبِّ
فإن أحببت الخَيْرَ فكَبِّرْ

فقلتُ : الذاتُ .. فقال : فَأَمْسِكْ
واحفظْ سِرّاً .. واصمتِ .. واحذِرْ

كَنْزُ السِّرِّ بَرُوحٌ " حَبِيبِي "
مَنْ قَدْ فَازَ بِنَهْرٍ " الكوثر "

فالزم بابا للمختار
تَلِّ بِالحبِّ الحظَّ الأَوْفَرَ

إن جالستَ .. وإن جائستَ
نُلتَ الخَيْرَ وكُنتَ الأَمهرُ

ونورى فيه .. فلا تعدّوه
لتعلم أنّ سواه الأبتّر
فاسكن قلب النور.. وقل
أتيت إليك بقلبٍ أزهر

وكلُّ الناس غريق الوهم
يظن الجواهر غير المظهر!!
واعلم أنّ الأدب الأسمى
خفض الرأس .. فلا تكبر
واعلم أنّى قد أهديت
”لطفه“ الكنز.. السرّ الأكبر

فالزَمُ بابِ رِحابِ رِسولِ
والزَمُ أَدباً حَتى تَعْبُرُ
صَلِّ عَلَيْهِ .. وَأَكْثِرْ فِيهَا
فَالصَّلواتُ عَلَيْهِ المَطْهَرُ
فإِنَّ الكونَ جَميعاً صَلَّى
قَبْلَ الخَلقِ عَلَيْهِ وَكَبَّرَ ...

لَمَّا خُلِقَ " العبد الكامل "
أَهْدِيناه مِنّا " الكوثر "
نَهْرٌ .. لا كَالنَهْرِ ... وَلَكِنْ
نورٌ صافٍ لِلْمَسْتَبْصِرِ

نَهْرٌ حَقَّا لَكُنْ فِيهِ
خِيوطُ النُّورِ وَلَا كَالنُّهْرِ

فِيهِ النُّورُ ... وَفِيهِ الْخَيْرُ
وَفِيهِ السِّرُّ لِمَنْ يَتَبَصَّرُ ..

فِيهِ الْمَاءُ .. وَكَأْسٌ مِنْهُ
يُنِيرُ الْعَقْلَ فَلَا يَتَكَدَّرُ

مَاءٌ صَافٍ .. فِيهِ الدُّرُّ
وَأَرْضُ النُّهْرِ كُنُوزٌ تُبَدَّرُ

أَمَّا الْمَاءُ فَرَى الْقَلْبِ
وَأَمَّا الدُّرُّ .. فَأَعْلَى الْجَوْهَرِ

أَمَّا الْكَأْسُ .. فَصَفْوُ الْقَلْبِ
وَأَمَّا الرِّيُّ فَنُورٌ مُثْمِرٌ

أَمَّا الْمَوْجُ .. ففِيهِ مَعَانِي
تَعْلُو الْعَقْلَ لِمَنْ يَتَدَبَّرُ

كُلُّ الْمَوْجِ فَتَوْحٌ قَدِيرٌ
وَالْتِيَارُ الْحَبُّ الْأَكْبَرُ

أَمَّا الْعَوْمُ .. بِرُوحٍ فِيهِ
صَوْمًا نَذَرَتْ أَلَّا تُفْطِرُ

وَجْهُ اللَّهِ الْقَصْدُ لَدَيْهَا
كُلُّ سِوَى .. مُحْظُورٌ مُفْطِرٌ

أَمَّا الشُّطُّ .. فَعَقْلٌ مُوَاعٍ
أَمَّا الْقَاعُ فَرُوحٌ تُشْكِرُ

وَتَنْبُتُ مِنْهُ بِذُورِ النُّورِ
وَمَا تَجْنِيهِ .. يَعُودُ فَيُثْمِرُ

كُنُوزُ الْعَرْشِ زُهُورٌ فِيهِ
وَنُورُ اللَّهِ عَلَيْهَا يُنْتَرُ
تَشْرَبُ كَأْسًا تَرْقَى دَرَجًا
حَتَّى تَعْلُو الْفَلَكَ الْأَكْبَرَ
فَلَا تَحْسَبْهُ كَنْهَرِ الدُّنْيَا
إِنَّ الدُّنْيَا وَهْمٌ صُورٌ
هَذَا "الكوثر" .. ليس "الكوثر"
فِيهِ الْمَاءُ كَمَا يُتَصَوَّرُ

سَأَلْتُ : وَأَيْنَ يَكُونُ الْمَنْبَعُ ؟
قِيلَ : "الْبَيْتُ الْأَعْلَى" الْمَصْدَرُ

فقلتُ: وَأَيْنَ يَصُبُّ...؟ فقالوا:

”بيتُ العِزَّةِ“ فيه مَقَرُّ

وفيه النورُ .. وفيه الطُّهْرُ

ولا يَمَسُّهُ الغَيْرُ مُطَهَّرُ

فقلتُ: وَحَقَّ اللهُ الباري

وَعِزَّةِ رَبِّ خَلَقَ فَصَوَّرُ

رَأَيْتُ النهرَ يَقَلْبُ ”الهادي“

بَشِيرِ الخَيْرِ الأَعلى الأَطهرُ

رسولِ اللهِ .. حبيبِ الله

وَمَنْ بَدَّ ”الكوثر“ حَقًّا بَشِيرُ

”طه“ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ دَوْمًا رَبُّ أَخْبَرُ
فَكَزُّ السِّرِّ .. وَسِرُّ النُّورِ
وَنُورُ الذَّاتِ عَلَيْهِ الْمَظْهَرُ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ ”الْكُوْثُرُ“

”جَدِّي“ ... جِئْتُكَ أَرْجُو كَرَمًا
مِنْكَ الْجُودُ سَمَاءٌ تُمَطِّرُ
وَكُلَّ الْخَيْرِ .. وَكُلَّ النُّورِ
وَكُلَّ الْفَضْلِ .. يَمِينُكَ تَقْطُرُ

كأساً "جَدِّي" جُنْتُكَ أَرْجُو
من أَعْلَى "فِيحَاءِ الْكُوْثِرِ"
تَرَوِي ظَمَأِي .. تَجْلُو قَلْبِي
تَصْقِلُ رُوحاً فَيْكُمْ تُصَهِّرُ
خُذْنِي "أَسْرَأً" .. و"اعْتِقْ" فَضْلاً
و"اطْلِقْ" فَيْكَ "غَرِيْقاً" أَبْحَرُ
صَلَّى اللّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمْ
عَدَّ النُّورَ بِنَهْرِ "الْكُوْثِرِ"
وَاجْعَلْ مِئِّي يَا مَوْلَايَ
غَرِيْقَ الْحُبِّ بِمَاءِ "الْكُوْثِرِ"
وَاصْنَعْ بِي مَا شِئْتَ ... أَنَا
شَهِيدُ الْعِشْقِ بِأَرْضِ "الْكُوْثِرِ"

فَإِذَا جَمَعَ النَّاسَ الْبَعْثُ
وَسِيقَ الْخَلْقُ لِأَرْضِ الْمَحْشَرِ

كان حسابي .. والميزان
بِسِرِّ النُّورِ لِنَهْرِ " الْكُوْثَرِ "

يَا مَنْ نُورُكَ فِينَا يَسْرِي
مِنْ أَسْرَارِ بَحُورِ " الْكُوْثَرِ "

أَحْمَدُ رَبِّي أَنْ عَرَّفَنِي
" إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ "

صَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ فَازَ
بِ" إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ "



جماد الأول ١٤٢٠ هـ - سبتمبر ١٩٩٩ م

